اقتران أسماء الله الحسنى بلفظة (نزّل ومشتقاتها) في القرآن الكريم

اعداد الدكتور

أحمد حامدأحمد الشرقاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة الجوف (السعودية)

١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

ملخص بحث

اقتران أسماء الله الحسني مع لفظة " نزّل " ومشتقاتها :

إنّ أسماء الله الحسنى كلها كمال وجمال ، وإن الاقتران بين بعض الأسماء الحسنى يدل على مزيد كمال ، من حيث كمال كل اسم بمفرده ، ومن حيث كماله مقترنا بغيره ، وإنّ اقتران أسماء الله مع أيّ لفظة في كتاب الله يزيد جمالها ، ويدعو إلى التأمل والتدبر فيها ، ومن ذلك اقترانها بلفظة " نزّل " ومشتقاتها ، فإن فيه الجمال لمناسبة السياق ، وحكمة الإقتران ، ... .

والسؤال : لماذا قرن الله – سبحانه وتعالى – في كتابه بين لفظة " نزّل " ومشتقاتها مع ثمانية فقط من أسمائه الحسنى ؟ كلٌ يُعطي جماله بما يناسب مقامه ولفظه ،وهذا يدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ، ومرتبط بها ، وهو باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه .

IN THE NAME OF ALLAH
THE MERCIFUL THE COMPASSIONATE

The main points of the research:

"Conjunction of names of Allah with the word "Nazzala" ;"has sent down" and its derivatives".

The most beautiful names of Allah have all perfection and beauty.The association between some of the most beautiful names indicates a further perfection in terms of perfection of each name individually and in terms of perfection in conjunction with other.

The names of God coupling with any word in The Holy Quran increases its beauty and calls for meditation. It is so pair them with the word "Nazzala","has sent down", and with its derivatives that indicates the beauty of context appropriate and conjunction wisdom.

And the question is: Why had The Almighty God connected the word "Nazzala"and its derivatives with only eight of His Names ?

Each gives beauty to suit its place and this tells you that Islamic Law, authority and creation issued by His names and His attributes.This is a great way in the knowledge of God and knowledge of His provisions.

المقدمة

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّمًا "**(الكهف:١-٢) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك ، قال في محكم تنزيله:** "الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"**(هود:١) ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وآله ، بيّن لنا كثيراً من فضائل القرآن الكريم ، فقال كما في مسند أحمد عن علىّ بن أبي طالب قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ". فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ،..... وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ...** "(١) **– صلى الله عليه وسلم – .**

وبعـــــــــــــــــــــــد:

إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بالحق الذي لاشك فيه ، وتولى سبحانه حفظ نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – فلا يُخطئ ولا يُغيّر ولا يَنسى ، وحفظ سبحانه كتابه إلى الأبد فلا شك فيه ، وأكد سبحانه وتعالى ذلك بالتحدي القائم إلى يوم الدين ، فمن كان في نفسه شئ على القرآن فليقدم ما عنده . فإن كلام الله تعالى في أعلى مقام الكمال ، قال تعالى : "الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"**(هود:١) ، والمعنى :" أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ مِنْ عِنْد الله ، أحكمت آيَاتُهُ :**

١- أخرجه أحمد ٩١/١ (٧٠٤) ، والترمذي٢٩٠٦. قال أبو عيسى الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ" ، قال الألباني: ضعيف مجهول ، وفي الحارث مقال.

وَالْإِحْكَامُ: إِتْقَانُ الصُّنْعِ بِحَيْثُ تَكُونُ الأشياء سَالِمَةً مِنَ الْأَخْلَالِ الَّتِي يُعْرِضُ لِنَوْعِهَا، وَالتَّفْصِيلُ: التَّوْضِيحُ وَالْبَيَانُ ، ومِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَيْ مِنْ عِنْدِ الْمَوْصُوفِ بِإِبْدَاعِ الصُّنْعِ لِحِكْمَتِهِ، وَإِيضَاحِ التَّبْيِينِ لِقُوَّةِ عِلْمِهِ ، وَالْخَبِيرُ : الْعَالِمُ بِخَفَايَا الْأَشْيَاءِ، وَكُلَّمَا كَثُرَتِ الْأَشْيَاءُ كَانَتِ الْإِحَاطَةُ بِهَا أَعَزَّ، فَالْحَكِيمُ مُقَابِلٌ لِ أُحْكِمَتْ، وَالْخَبِيرُ مُقَابِلٌ لِ فُصِّلَتْ"(١) . " فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة، وسعة الرحمة"(٢) . ولبيان قوة الإعجاز ، وروعة البيان ، وإقامة التحدي ، وإظهار عظمة المُنزِّل والمُنزَل ، وشرف المُنزَل عليه ، والإفصاح عن بعض عجائبه التي لاتنقضي ، قرن سبحانه بعض أسمائه الحسنى وصفاته العليا مع بعض ألفاظ التنزيل ، للإيمان بكتابه ، وتَرْغِيبًا فِي تَدَبُّرِهِ ، وَالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِهِ ، وهذا هو الجمال والكمال المطلق ، حيث إن الإقتران بين بعض الأسماء الحسنى مع بعضها ومع ألفاظ نزوله يدل على مزيد كمال ، من حيث كمال كل اسم بمفرده ، ومن حيث كماله مقترناً بغيره ، ومن حيث كماله مقترناً مع لفظة " نزّل " ومشتقاتها ، ومن حيث كماله بمناسبته لسياق الآيات ، وهذا الأخير معنى جميل لطيف ، تجده في غاية المناسبة ، فهو يدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ، ومرتبط بها ، وهو باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه .

١- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي١٣٩٣هـ ، (١١/ ٣١٥) ،الدار التونسية ١٩٨٤ هـ.

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/عبد الرحمن بن ناصر ١٣٧٦هـ صـ٣٧٦، تحقيق/ عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ .

الإطار التنظيري للدراسة

أولا : أهمية هذا البحث وأسباب اختياره :-

١- أن العلم بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق ، فشرف العلم بشرف المعلوم ، والإشتغال فيه اشتغال بأعلى المطالب ، وحصوله للعبد من أشرف المواهب .

٢ - وجوب مدارسة القرآن وتعلمه كما كان جبريل - عليه السلام - يدارس النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن في كل ليلة من رمضان .

٣ - زيادة الإيمان وقوته بمدارسة أسماء وصفات الرحمن تبارك وتعالى ، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد ايمانه وقوي يقينه .

٤ - العلم بكتاب الله وحِكَمِه أصل للعلم بكل معلوم ، فعلى قدر علم العبد بربه وعمله بما يقتضيه ذلك العلم ترتفع درجته ، وتسمو همته ، وتزكو نفسه ، ويثمر غرسه.

٥ - إثبات الإعجاز في كتاب الله ، والتأكيد على أنه كلام الله تبارك وتعالى أنزله على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وليس من كلام البشر .

٦ - المتعة والجمال في الوقوف على كنوز من التدبر وبعض أسرار الرحمن في كتابه.

٧ - إظهار التحدي وإقامة الحجة لمن تسول له نفسه بالطعن في كتاب الله ، قال تعالى : "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ

فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـافِرِينَ " (البقـرة:٢٣-٢٤).

هذا وغيره مما دعاني إلى البحث في هذا الموضـوع والوقـوف علـى بعض النتائج فيه علّ الله أن ينفع بها الخلق فيهتدوا إلى الحق المبين .

ثانيا : منهج الدراسة :

فهو المنهج التتبعي الإستقرائي لآيات القرآن الكريم التى تُعني بلفظـة (نزّل ومشتقاتها) في القرآن الكريم مقترنة باسمٍ من أسماء الله الحسـنى ، ثـم جمع هذه الآيات والوقوف معها ، وذلك كما يلي:-

١ - الكلام عن أسماء الله الحسنى المذكورة في آيات البحث (بصورة موجزة).

٢ - الوقوف مع كل آية من هذه الآيات وبيان حكمة الله عزّ وجلّ فيهـا (قـدر المستطاع) من اقتران اسمه الأعظم مع لفظة التنزيل ومشتقاتها .

٤- ربط المعنى العام في الآيات مع أسماء الله المذكورة ،ليؤكد قـوة التنزيـل وحفظ المنزل.

٥- عزو الأقوال إلى قائليها والرجوع إلى مصادرها من أجل الإستفادة منها.

٦- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية ، مع ذكر الحكم عليها إن كانت فـي غير الصحيحين .

ثالثاً : إشكالية البحث :-

إنّ مما يلفت الإنتباه ، ويثير الإعجاب ، ويدعو إلـى الفكـر ، وكثـرة التأمل ، ويحرك في النفس سؤالاً عظيماً، أنّ الحقّ تبارك وتعـالى جمـع بـين ثمانية - فقط - من أسمائه الحسنى وصفاته العلا وبين (لفظة نزّل ومشتقاتها)

في القرآن الكريم؟!، وذلك من مكنون أسراره ، وكنوز حكمته في كتابه الكريم ، ولذلك كانت هذه الدراسة – بفضل الله – لتجيب على الأسئلة التالية :-

- ما هذه الأسماء الثمانية التي ذكرها ربنا في هذه الآيات – بإيجاز شديد – .؟
- لماذا خصَّ الحق سبحانه هذه الأسماء في هذه المواطن ؟
- ما الحكمة من الجمع بين هذه الأسماء ولفظة نزّل في كتابه الكريم ؟
- ما الفائدة التي تعود على الأمة من هذه الدراسة كي نعمل بها ؟

رابعاً : الدراسات السابقة :-

بعد كثرة المطالعة والمتابعة في كثير من الكتابات حول كتاب الله تبارك وتعالى ، وقفت على كثير من الأبحاث حول أسماء الله الحسنى في كتاب الله ، وختام الآيات ، وكثير منها عن نزول القرآن ، كلٌ منها على حدة ، أما بحث يجمع بينهما ويقف على الحكمة من الجمع ، فلم أقف على شئ في ذلك ، وحتي كتب التفسير لم تستفض ولم تستطرد وإنما هو النذر اليسير الذي يربط المعنى بسياق الآيات ولايخرج عن ذلك ، ولعل فتح الله علي عبده يكون بداية خير على الأمة في الإستفادة من كتاب الله أكثر وأكثر ، أسأل التوفيق والسداد والقبول للجميع .

خامساً : خطة البحث :-

وقد اشتملت هذه الخطة على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث وخاتمة .

المقدمة: وقد اشتملت على : ١) أهمية البحث وأسباب اختياره.

٢) منهج البحث . ٣) إشكالية البحث . ٤) الدراسات السابقة .

٥) خطة البحث والدراسة .

التمهيد: وفيه الحديث عن مفردات البحث .

المبحث الأول : فيه جميع مسائل البحث .

المبحث الثاني : فيه حديث مختصر عن أسماء الله المذكورة في البحث .

المبحث الثالث : فهو بعنوان "الحكمة من اقتران بعض أسماء الله الحسنى بلفظة (نزّل ومشتقاتها) في القرآن الكريم ".

الخاتمة : وهي تشتمل على بعض النتائج وأهم التوصيات .

والله أسال أن يكشف لنا الحجب وأن يفتح الأبواب إليه سبحانه ، إنه حسبنا ونعم الوكيل ، قال تعالى : " مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا "**(فاطر:٢)** .

التمهيد: تحرير مفردات البحث :

١ – اقتران(١) : اقترنَ بـ يقترن ، اقْتِرانًا ، فهو مُقْتـرِن ، والمفعـول مُقْتَرَن به يقال : اقترن الرَّجلان ارتبطا وتلازما ، مشـاكل مقترنـة , ويقـال : اقترن الشَّيءُ بغيره : اتّصل به وصاحَبَه ، واقترنـت زيارتُـه بعيـد الفطـر ، واقترنت عودتُه بالسعادة , واقترن فلانٌ بفلانة : تزوّج بها ، واقترن العروسـان بزواج ميمون .

يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، قَارَنْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وَالْقِرَانُ: الْحَبْلُ يُقْرَنُ بِهِ شَيْئَانِ.

والمعنى : الإرتباط والملازمة الحسية والمعنوية ، والزمانية والمكانية .

٢ – أسماء الله الحسنى(٢) : هي الأسماء والصفات التي أطلقهـا الله على نفسه أو جاءت على لسان رسله ، وإنّ الإيمان بها ليعدّ واجباً ، وصـفات

١- معجم مقاييس اللغة/أحمد بن فارس الرازي٣٩٥ه(٧٦/٥)،تحقيق/عبد السـلام محمـد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ . مختار الصحاح/أبو عبد الله محمد بن أبي بكـر الـرازي ٦٦٦هـ(٢٥٢/١) ،تحقيق/يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت ، الخامسـة، ١٤٢٠هـ . لسان العرب/محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور ٧١١هـ (٣٣٢/١٣) ، دار صادر – بيروت ،الثالثة – ١٤١٤ هـ . معجم اللغة العربية المعاصرة/د أحمد مختار عبد الحميد ١٤٢٤هـ بمساعدة فريق عمل(٣/ ١٨٠٥) ،عالم الكتب ،الأولـى، ١٤٢٩ هـ .

٢- مدارج السالكين /محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (١/ ١٢٥)،دار الكتاب العربـي – بيروت ، الثانية ١٣٩٣، تحقيق : محمد حامد الفقي . المجلى في شرح القواعد المثلـى في صفات الله وأسمائه الحسنى/محمد صالح العثيمين – تأليف/كاملة بنت محمد الكواري

الله لا تشبه صفات المخلوقات ، وذلك لأن صفات الله تتصف بالكمال؛ فيستحيل أن يعتريها أي نقص، ونستنتج ذلك من قوله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "(الشورى:١١) .

وقيل : هى كلُّ ما دلَّ على ذات الله مع صِفات الكمال القائمة به ، مثل: العليم ، الحكيم ، السَّميع ، البصير، فإنَّ هذه الأسماءَ دلَّتْ على ذات الله، وعلى ما قام بها مِن العلم والحِكمة والسَّمْع والبَصَر.

أمَّا الصِّفات : فهي نعوتُ الكمال القائمة بالذات ، كالعِلم ، والحِكمة ، والسمع، والبَصَر، فالاسم دلَّ على أمرين ، والصِّفة دلَّتْ على أمرٍ واحد .

وقيل : هي أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد لله ، وصفات كمال الله ونعوت جلال الله ، وأفعال حكمة ورحمة ومصلحة وعدل من الله ، يدعى الله بها، وتقتضي المدح والثناء بنفسها ، سمى الله بها نفسه في كتبه , أو على لسان أحد من رسله ، أو استأثر الله بها في علم الغيب عنده ، لا يشبهه ولا يماثله فيها أحد ، وهي حسنى يراد منها قصر كمال الحسن في أسماء الله ، لا يعلمها كاملة وافية إلا الله.

٣ – لفظة نزّل(١) : يقال (نَزَلْتُ ، أَنْزِلُ ، اِنْزِلْ ، مصدر نُزُولٌ) ، وهو فعل : ثلاثي لازم ، متعد بحرف ، يقال نَزَلَ مِنْ كَذَا : هَبَطَ أَنْزِلُ سُلَّماً وَلاَ أَطْلُعُ

(١/ ٦٨) دار ابن حزم الأولى، ١٤٢٢ هـ . شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة/سعيد بن علي بن وهف القحطاني(١/ ١٢١) .

(١) – مختار الصحاح/ زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي٦٦٦هـ(٣٠٨/١)، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية بيروت الخامسة، ١٤٢٠هـ . لسان العرب / ابن منظور (٦٥٦/١١) ، معجم اللغة العربية المعاصرة/ د. أحمد مختار (٣/ ٢١٩٥) .

سُلَّماً نَزَلَ بِالسُّلَّمِ ، ونَزَلَ الْمَطَرُ : سَقَطَ ، ونَزَلَ بِهِ الْمَرَضُ : أَصَابَهُ ، ونَزَلَ بِهِ مَكْرُوهٌ ونَزَلَتْ بِهِمُ الكَوَارِثُ وَالْمَصَائِبُ ، ونَزَلَ عَنِ الْحَقِّ : تَرَكَهُ وتَخَلَّى عنه ، ونَزَلَ عِنْدَ رَغْبَتِهِ : اِسْتَجَابَ لَهَا ، لَبَّاهَا , نَزَلَ عِنْدَ إِرَادَةِ وَالِدِهِ ، ونَزَلَ ضَيْفاً عَلَيْهِ: حَلَّ نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ بِالفُنْدُق ، ونَزَلَ عَلَى حُكْمِهِ : قَبِلَ حُكْمَهُ .

أنزل اللهُ كلامَه على أنبيائِه: أوْحَى به إليهم " "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ" .

٤ – القرآن الكريم(١) : هُوَ التنزيلُ العزيزُ، أَي المَقروءُ الْمَكْتُوب فِي المَصاحف .

اصطلاحا(٢) : هو كلام الله المنزل على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، المعجز بلفظه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المكتوب في المصاحف ، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

٥ – الإشتقاق لغة(٣): الاشتقاق من الشق وهو أخذ الشيء من الشيء أو أخذ شقه ؛ أي نصفه ، و اشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالا ، و

---

(١) – تاج العروس من جواهر القاموس/محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي ١٢٠٥هـ ،تحقيق/ مجموعة من المحققين ، دار الهداية(٣٦٣/١).

(٢) – التفسير الكبير/ للفخر الرازي ٦٠٦هـ (٩٢/٥)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الثالثة١٤٢٠ هـ ،– إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول / لمحمد علي الشوكاني ١٢٥٠هـ (٨٥/١) ، تحقيق/ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي ، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ،– مناهل العرفان في علوم القرآن/ للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني١٣٦٧هـ (١٩/١) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،الطبعة الثالثة.

(٣) – لسان العرب (١٠ / ١٨٤) ، مختار الصحاح (١/ ١٦٧) ، معجم اللغة العربية المعاصرة .

اشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه . ويقال شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج

. **اصطلاحا(١) :** اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل.

- **أخذ كلمة من أخرى بتغيير ما ، مع التناسب في المعنى.**
- **نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا، ومغايرته في الصيغة.**

٦ – والمعنى الجامع : (جمع المواطن من كتاب الله تعالى التي اقترن فيها اسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته تعالى العليا مع لفظة " نزّل " ومشتقاتها)، وذلك للتدبر والوقوف على بعضٍ من حكمة الله تعالى في هذا الجمع ، وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – " ... ولا تنقضي عجائبه .... "

.

(١) – كتاب الكليات/لأبى البقاء الكفومى(١/ ١٦٢) مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ ، تحقيق/ عدنان درويش – محمد المصري. مسائل خلافية في النحو/ أبي البقاء العكبري(١/٧٤) ،دار الشرق العربي – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٢،تحقيق : محمد خير الحلواني . التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي(١/ ٦٦) ، دار الفكر المعاصر بيروت ،الطبعة الأولى١٤١٠،تحقيق : د. محمد رضوان الداية.

المحبث الأول : مسائل البحث :

١ – **الموضع الأول :** " تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"**(طه:٤–٥)** .

٢ – **الموضع الثاني :** " قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً" (الفرقان:٦) .

٣ – **الموضع الثالث :** " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء:١٩٢) .

٤ – **الموضع الرابع :** " وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ"(النمل:٦) .

٥ – **الموضع الخامس :** " تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"(السجدة:٢)

٦ – **الموضع السادس :** " تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"(يس: ٥) .

٧ – **الموضع السابع:**"تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"(الزمر: ١،الجاثية :٢، الأحقاف : ٢) .

٨ – **الموضع الثامن :** " تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"(غافر: ٢) .

٩ – **الموضع التاسع :** " تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" (فصلت : ٢)

١٠ – **الموضع العاشر :** " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (فصلت:٤١ – ٤٢) .

١١ – **الموضع الحادي عشر:**" تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"(الواقعة :٨٠ ، الحاقة:٤٣) .

المبحث الثاني

أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، المذكورة في البحث(١).

١- ربِّ العالمين: (الرب) من أسماء الله -عز وجل- الحسنى التي يُدعى بها، ويُمجد بها، ويُقدس بها، وعامة ما جاء في ذكر هذا الاسم الكريم إنما جاء مضافاً إلى الخلق عموماً وخصوصاً ولذلك: امتداح الله – عز وجل – نفسه بأنه :رَبِّ الْعَالَمِينَ .

والرب في اللغة بمعني : المالك أو السيد ، وفي الإصطلاح : هو الذي يربي عباده ، قال السعدي: (والرب" هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة)

١- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى/ الإمام إبى حامد الغزالي ، دراسة وتحقيق / محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن – القاهرة -- فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى/محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية٧٥١هـ ،تحقيق/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر،غراس، الكويت ، الأولى، ١٤٢٤هـ-- تفسير أسماء الله الحسنى/عبد الرحمن السعدي ، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،العدد ١١٢ – السنة ٣٣ -١٤٢١هـ -- تفسير أسماء الله الحسنى/أبو إسحاق إبراهيم بن محمدالزجاج ،دار الثقافة العربية – دمشق ، ١٩٧٤،تحقيق /أحمد يوسف الدقاق -- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة/د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني،مطبعة سفير، الرياض – جامع العلوم والحكم/ ابن رجب الحنبلي ، تحقيق / عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان – النصورة ١٤١٧هـ ، موسوعة أسماء الله الحسنى / د. محمد راتب النابلسي ، مؤسسة الفرسان – الأردن ، الأولى ١٤٣٤هـ .

(١) وقال ابن القيم : (قوله :رَبِّ الْعَالَمِينَ :ربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه ، وتدبيره له ، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن ، يخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته وملكه)(٢).

قال الشيخ النابلسي : (وأبسط شرح لمعنى الرب : هو الأب الحاني على أولاده، ومن أدق معاني الربوبية أن الله أعطى كل شيء خلقه التام ثم هدى: قال تعالى: "قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (طه). . أعطاه القوام المنساب ، الأجهزة المناسبة، الحواس المناسبة ، النسيج المناسب ، الخصائص المناسبة، أعطى كل شيء خلقه التام ثم هدى. هذا هو الرب لذلك لا يليق ولا يقبل ولا يعقل أن تعبد غير الخالق، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة: ٢١) (٣).

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(٩٥٤/١)، تحقيق/عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة/ ابن قيم الجوزية (٤/ ١٢٢٣) ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨،تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله -- الصلاة وحكم تاركها/ابن قيم الجوزية (٢٠٢/١) ، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ – ١٩٩٦، تحقيق/بسام عبد الوهاب الجابي . مجموع الفتاوى/أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧٢٨هـ (١٤/١٤-١٥)،تحقيق/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد ،١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣- أسماء الله الحسنى / النابلسي .

٢ – الله : هو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألهيـــة ، المنعـــوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى " لا إلـــه إلا هـــو " ومعنـــاه الـــذى يستحق أن يُعبد ، وقيل معناه واجب الوجود الذى لم يزل ولن يـــزال "(١) ، الله هو الإسم الذى جمع الأسماء الحسنى والصفات العلا والكمال الـــذاتى والكمـــال الفعلى فى محتواه ، وهو اسم لم يسم به غيره ، وهـــو الإســـم الأعظـــم لأنـــه يوصف بجميع الصفات . وكلمة " الله " فى اللغة لهـــا عـــدة معـــان : المعنـــى الأول:- بمعنى عبد ، فالله هو المألوه المعبود الذى يستحق العبـــادة ، لأنـــه لا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومـــدبراً وقـــادراً على معبوده ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عُبد ظلماً بل هو مخلـــوق(٢) . فإن الإِله هو المحبوب المعبود الذى تؤلهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل لـــه وتخافه وترجوه وتنيب إليه فى شدائدها وتدعوه فى مهماتها وتتوكل عليه فـــى مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه وليس ذلك إلا الله وحـــده، ولهذا كانت [لا إله إلا الله] أصدق الكـــلام، وكـــان أهلهـــا أهـــل الله وحزبـــه، والمنكرون لها أعداؤه، وأهل غضبه ونقمته(٣). وفى ذات الوقت هـــو الـــذى يُطاع فلا يُعصى خشية وإجلالاً ومهابة .

---

١ – المقصد الأسني (صـــ ٦٠) ، جامع العلوم والحكم صـــ٢٢٦ ، تفسير أسماء الحسنى / السعدي صـــ١١ ، النابلسي (٣٥/٢) .

٢٧– لسان العرب لسان العرب/ محمـــد ابـــن منظورالأنصـــاري٧١١ هـــ (٣٩٩/١)،دار صادربيروت ،الثالثة :١٤١٤ هـــ .

٢٧– طريق الهجرتين وباب السعادتين/محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية٧٥١هـــ ، صـــ ٣٢٠ ، دار السلفية، القاهرة، الثانية١٤٢٩هـــ.

وأما المعنى الثانى :- أله إليه بمعنى لجأ إليه :- فلا ملجأ منه إلا إليه، فلا منجى وقت الكرب والشدة إلا هو ، قال صلى الله عليه وسلم :(إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ... لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ)(١)، قال يونس عليه السلام وقت الشدة " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ..الآية". (الأنبياء٨٧ – ٨٨).

أما المعنى الثالث :- أله بمعنى تحير :- تحار القلوب والعقول فى عظمته ومجده ، فمهما علمت من قدرته وإرادته فهو سبحانه أعظم من ذلك ، فلا نهاية لعلمه وحكمته وإرادته ، حتى إن العقول تحار فى عظيم صنعه قال تعالى " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (فاطر :٢٨) .

٣ – الرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة للمبالغة ، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، الرحمن إذا سُئل أعطى ، الرحيم إذا لم يُسأل يغضب ، وهما دالان على الرحمة الواسعة التى وسعت كل شىء ، ورحمته سبحانه للمتقين رحمة تامة ، أما رحمته بغيرهم فهى رحمة ناقصة ، الرحيم خاص بالمؤمنين " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا "(الأحزاب :٤٣) ، **الرحمن لجميع الخلق** " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى "(طه :٥) ، **وفى الآخرة الرحمة خاصة بالمؤمنين ، أما الكافرين فلهم العدل فقط فى الآخرة .**

الرحمن لم يتسمى به غيره ، ولذا لما سمى مسيلمة نفسه رحمان اليمامة كساه الله الذلة فسمى مسيلمة الكذاب ، ولذا قال بعضهم إنه اسم الله

---

١ – أخرجه البخارى (٩٧/١ رقم ٢٤٤) ، مسلم (٢٠٨١/٤ رقم ٢٧١٠) ، أحمد(٤/ ٢٩٠ رقم ١٨٥٨٤).

الأعظم ، " هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا " (مريم :٦٥) ، " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ "(الإسراء :١١٠) ، **والرحمن مختص به سبحانه ، صفة قائمة بالذات ، الرحيم دالة على تعلقها بالمرحوم ، فالرحمة صفته ، والرحيم صفة خلقه ، فرحمته سبحانه عاجلة وآجلة خاصة وعامة .**

والرحمة : هى إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهته النفس ، وإن ترك المصلحة رحمة بجهل كرحمة الأم ، ومن الرحمة تسليط البلاء ، والتكاليف حتى يطهرهم ويصافيهم ، ولا يركنوا إلى الدنيا ، والرحمة منها العامة والخاصة ، فالعامة لكل الخلق فى كل شىء " رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا "(غافر:٧)، **والخاصة بالمؤمنين) (١)) (٢).**

وبالجملة فالله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبرهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته ، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور ولا تيسرت الأشياء ولا حصلت المقاصد وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك وأجل وأعلى. وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافر والخير المتكاثر"إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"(الأعراف: ٥٦).

٤ – العزيز: اسم الله العزيز له أربعة معانٍ : – أ– العزيز الذى لا مثيل له ولا نظير له ولا مشابه له . ب– العزيز هو الغالب الذى لا يُغلب أبداً

---

١ – أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩) ، أحمد (٣١/ ٢٦٨ رقم ١٨٩٣٩)
٢– شرح العقيدة الواسطية / ابن عثيمين (ص ١٩٤) ، تفسير أسماء الحسنى / السعدي صـ٤٧ ، النابلسي (١/ ٥٠٩) .

"وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ "(يوسف :٢١) . ج- **العزيز القوى الشديد** "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ"(يس :١٤) . د- **العزيز بمعنى المعز** " تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ "(آل عمران :٢٦) .

قال الغزالى : هو الذى يقل وجود مثله ، وتشتد إليه الحاجة ، ويصعب الوصول إليه ، فكم من شىء يقل وجوده لكن لا يحتاج إليه فلا يسمى عزيزاً ، وقد يكون لا مثيل له والإنتفاع به عظيم ولكن يسهل الوصول إليه فلا يسمى عزيزاً كالشمس مثلاً لأنه لا يصعب الوصول إليه (١). فهو سبحانه يقلّ وجود مثله ، وكمال هذه الصفة أن يصبح واحداً فتشد الحاجة إليه ، وكمال هذه الصفة يصعب الوصول إليه فلا يمكن أن تحيط به فلا يعرف الله إلا الله ، ويمكن أن نصل إليه عبودية له ، أما أن تصل إليه إحاطة وإدراك فهذا مستحيل . العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته، فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرة فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده ، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف

١- المقصد الأسنى (صـ ٦٩) .

متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لـم يكـن، ولا حول ولا قوة إلا به (١).

٥ – الحكيم : هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره : " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"(السجدة:٧) ، "وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" (المائدة:٥٠)، **فلا يخلق شيئاً عبثا، ولا يشرع شيئاً سدى ، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وفى جزائه. والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة ، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور،وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة (٢). والحكمة هى العلم النافع والعمل الصالح ، أو هى وضع الشىء فى موضعه ، أو هى فعل الشىء الذى ينبغى فى الوقت الذى ينبغى على الوجه الذى ينبغى فى المكان الذى ينبغى** " لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا"(الطلاق :١٢) ، **ومن حكمته سبحانه التفاوت بين العباد فى الرزق ليشكروه سبحانه بعد أن يعرف كل منهم نعمته ، ولذلك قضى حياة بنى آدم فى هذه الحياة ليظهر مقتضى الأمر وحكمة الله فى خلقه وتظهر أسماؤه الحسنى وصفاته العلى ، وأن شرعه مناسباً لهم وحتى يعلم الخلق إجلاله وإعظامه سبحانه** ، " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"(المؤمنون :١١٥) .

١- تفسير أسماء الله الحسنى/ السعدي (١ / ٦٢) ، تفسير أسماء الله الحسنى/ الزجاج (١ / ٣٣) .

٢- تفسير أسماء الله الحسنى/ السعدي (١ / ٣٤) .

قال الغزالى : الحكمة :معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلــوم ، وأجــل الأشياء هو الله. فمن عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل ليس حكيماً ، ولو جمعت العلم والذكاء كله ولم تؤمن بالله فلست حكيماً ، فرأس الحكمة مخافة الله ، فإن لم تخف الله فأنت لا تعرف من الحكمة شيئاً(١).

معانى الحكيم(٢) : أ- بمعنى مُحكِم – متقن – دقة التقدير " إِنَّا كُلَّ شَــيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "(القمر :٤٩) ، "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْــدِيرًا "(الفرقــان :٢) ،" الَّــذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"(السجدة :٧). **ب- الحكمة معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم ، والإنسان مهما كان جاهلٌ ، وكلما إزداد علمه زاد جهله** " وَمَــا أُوتِيــتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "(الإسراء :٨٥) ، " وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"(يوسف :٧٦) ، **فــالعلم المطلق هو لله سبحانه ولا يعرف الله إلا الله . ج- الحكيم – الذى يتنــزه عــن فعل ما لا ينبغى ، وهو تعريف الحكمة . ومنتهى الحكمــة أن تطبــق الشــرع حتى لو لم تفهم المراد منه ، تجنى الثمر كله فى كل وقت في الدنيا والآخــرة ، فليس الإنتفاع بالشىء من فروع العلم بالشىء ، فليس كل من ركب طيارة هــو عارف بها ، ومن توقف عن تطبيق الشرع ضل وأضل ، على سبيل المثال شاب سائق ركبت معه فتاة فدعته إلى الرذيلة فاستجاب لها وبعد الفاحشــة بشــرته بالإيدز ، وأعطته عملة مزورة فقبض عليه ، ولو لم يستجب لها تطبيقاً لشــرع الله ، لحفظه الله من الفتنتين معاً ، نسأل الله العافية .**

١- المقصد السنى صـــ ١٠٧ .

٢- موسوعة النابلسي (٤١٧/١) .

٦ – العليم : (١): في اللغة من صيغ المبالغة، على وزن فعيل، وصيغ المبالغة تأتي بمعنى الكم، أو النوع، فأدق شيء الله به عليم، وكل شيء الله عز وجل به عليم.

العليم هو العالم بالسرائر والخفيات التى لا يدركها علم الخلق ، وذلك راجع إلى أنه سبحانه " لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ " (سبأ:٣) **، وهذا من المبالغة فى وصفه سبحانه بكمال العلم ، ولابد أن نعلم أن علم الله علم ذات ليس بعلم أسباب مذاكرة وحفظ ونسيان أو جهل ثم علم ، ولكن الله عالم كل شىء قبل وبعد وجود الشىء فهو سبحانه الذى يقدر الأشياء بعلمه وقدرته وإرادته ، لا أقول علمه سبحانه قديم ولكن علمه سبحانه علم ذات، فالغيب عنده كالشهادة ، فالله لا يغيب عنه شىء ، ولكن يسمى غيب بالنسبة لنا ، لأن علمنا محدود علم حواس .**

قال الغزالى: علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأشياء غير مُسْتَفَاد من الْأَشْيَاء بل الْأَشْيَاء مستفادة مِنْهُ وَعلم العَبْد بالأشياء تَابع للأشياء وَحَاصِل بهَا(٢).

ولذا يجب على المؤمن :- ١- أن يؤمن بالغيب ، ومن الغيب أن يؤمن بالله – لأن الله قال " لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ"(الأنعام :١٠٣) **، فقد غابت عنا ذاته وبقيت آثاره ونحن من آثاره نهتدى إليه . ٢- الخوف والحياء من علّام الغيوب أن يراك على سوء . ٣- عدم إغترار الإنسان بعلمه**

١- موسوعة النابلسي (٤١٧/١) ، تفسير أسماء الله الحسنى/ السعدي (١ / ٢٥٧).
٢- المقصد الأسنى / الغزالى صـ ٨١ .

فإن فوق كل ذى علم عليم . ٤- وجوب العلم بأسماء الله وصفاته والإيقان بذلك حتى يصلح عمل الإنسان .

٧- **الحميد:** هُوَ الْمَحْمُود الْمثنى عَلَيْهِ ، وَالله عز وَجل هُوَ الحميد بِحَمْدِهِ لنَفسِهِ أزلا وبحمد عباده لَهُ أبدا ، وَيرجع هَذَا إِلَى صِفَات الْجلَال والعلو والكمال مَنْسُوبا إِلَى ذكر الذَّاكِرِينَ لَهُ فَإِن الْحَمد هُوَ ذكر أَوْصَاف الْكَمَال من حَيْثُ هُوَ كَمَال ، فالحميد الْمُطلق هُوَ الله تَعَالَى(١).

"الحميد" هو المستحق للحمد والثناء،وليس أحد يستحق الحمد والثناء الحق إلا الله، وهو سبحانه وتعالى حمد نفسه، وقال في الفاتحة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والفرق بين الحمد والشكر : أن الشكر لايكون إلا عن يدّ ، أما الحمد يكون عن يد وغير يدّ ، فالحمد متعلق بالإنسان الكامل وصلت إليك نعمه أو لم تصل ، والحمد هو شعور متغلل في أعماق النفس بالإمتنان(٢) .

الحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو سبحانه الحميد لكثرة صفاته الحميدة، فهو الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل، والعدل.

وهو سبحانه حميد من وجهين: أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فالله تعالى مستحق للحمد من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة، والباطنة الدينية، والدنيوية، وصرف

١- المقصد الأسنى / الغزالى صـ ١١٥ .

٢- النابلسي (٣ / ٤٩) .

عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه، ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها، وأعظمها فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد، والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله لأنها دائرة بين أفعال الفضل، والإحسان، وبين أفعال العدل، والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى، والآخرة، وتفاصيل حمده، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام(١) .

٨- **الخالق** : هو الذى أظهر الموجودات بقدرته من غير معين ، وقدّر كل شىء منها بمقدار معين بإرادته ، ولم يعى بخلق السماوات والأرض وهو القادر على أن يخلق أمثال أمثالها . قيل الخلق هو الإبداع والإختراع ، وقيل هو التقدير، والصواب أن الخلق هو الإختراع وما عداه مجاز لا خالق إلا الله ، ودليل صحة ذلك لو كان الخلق بمعنى التقدير لكان كل مقدر خالق كالمهندس والخياط والبناء .

وفى اللغة – الخلق جاءت بمعنى الإيجاد والإبداع والإخراج من العدم إلى الوجود ، فالخلق هو التقدير للأشياء ، والبارىء الذى أوجد التقدير من

١- تفسير أسماء الله الحسنى/ السعدي (١ / ١٩٠).

عدم ، والمصور هو الذى أحسنه بالصورة الخارجية . قال تعالى عن الخلق " هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ"(فاطر :٣) ،" ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون :١٤) ، **فالله وحده هو الذى خلق وبرىء وصور فى أحسن صورة ، قال تعالى** " قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ "(الرعد :١٦) ، **وقدرة الملك سبحانه لا تحدها حدود يخلق كيفما يشاء ، حيث خلق الإنسان من طين ، ومن خلقه سبحانه – نجم العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما ، خلق الحوت الأزرق يزن أكثر من ١٥٠ طن ، يستخرج منه أكثر من ٩٠ برميل من زيت السمك ، ٥٠ طن لحم ، ٥٠ طن دهن ، ٥٠ طن أحشاء ، ومن خلقه سبحانه السحاب تحمل ألوف الأطنان من الماء تمر بلا صوت** " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ"(النمل :٨٨) ، **خلق الله فى الإنسان وفى كل مخلوقاته خلق كامل لا نقص ولا عيب فيه ولا تطور فيه بل كل خلق ربنا فى أفضل صورة ، ولا يحتاج سبحانه إلى معين ، بل هو وحده سبحانه المتفرد بالخلق ، وخلق سبحانه وملك ودبرّ** ، "وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"(الأعراف :٥٤) ، **ولو أنه سبحانه حبس المطر عن الخلق ساعة فمن يستطيع أن ينزله؟! لا إله إلا الله .** " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ *"(الإنفطار :٦-٨) ، **والسؤال الذى سأله ربنا للخلق جميعاً** " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ "(الطور:٣٥، ٣٦) ، **والجواب الكل يقرّ ويُذعن أن الخالق البارىء المصور هو الله وحده ، ويقول** ربنا "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ " (لقمان :١١) . **ومن أكبر ما خلق سبحانه وتعالى السماوات والأرض ، قال تعالى :** "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "(غافر:٥٧).

المبحث الثالث

الحكمة من اقتران هذه الأسماء بنزول القرآن الكريم .

١ – المطلب الأول : "

مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"(طـه :٤ – ٥) :– **في فتح وختم هذه السورة المباركة بيان أن من اتبع القرآن العظيم لايضل ولايشقى ، ومن أعرض عنه فله الضنك والشقاء ، وفي تأكيد هذه الحقيقة أكد ربُّ العزة سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم تنزيلٌ من عنده سبحانه، وليس من عند الخلق، ولا أَعلم بالخلق من الخالق سبحانه** " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "(الملك: ١٤) ، " **فالله تَعَالَى عَظَّمَ حَالَ الْقُرْآنِ بِأَنْ نَسَبَهُ إِلَى أَنَّهُ تنزيل ممن خلق الأرض وخلق السموات على علوها ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ تَعْظِيمَ اللَّه تَعَالَى يَظْهَرُ بِتَعْظِيمِ خَلْقِهِ وَنِعَمِهِ وَإِنَّمَا عَظَّمَ الْقُرْآنَ تَرْغِيبًا فِي تَدَبُّرِهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِهِ وَذَلِكَ مُعْتَادٌ فِي الشَّاهِدِ فَإِنَّهُ تَعْظُمُ الرِّسَالَةُ بِتَعْظِيمِ حَالِ الْمُرْسَلِ لِيَكُونَ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ أَقْرَبَ إِلَى الِامْتِثَالِ(١).**

وإذا كان من معنى الخالق : بمعنى الإيجاد والإبداع والإخراج من العدم إلى الوجود ، وبمعنى التقدير للأشياء ، فإنّ الله أنزل القرآن بلا مثال له من قبل نزوله ولا من بعده ، وقدره سبحانه تقديرا فيه الحكمة كلها ، والعظمة كلها ،

١– التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي خطيب الري ٦٠٦هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الثالثة – ١٤٢٠ هـ(٧/٢٢) .

والكمال كله ، فمن فقه القرآن جمع الحكمة والعظمة والفضل العظيم في الـدنيا والآخرة .

ولتأكيد المعنى وصفَ سبحانه السماوات بالعلى ، وذكر بعدها اسمه الرحمن ووصف نفسه سبحانه بصفة الاستواء على العرش ، وأن له سبحانه ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ، وأنه تعالى يعلم السرّ وأخفى ، كـل ذلك ليؤكد على عظمة المنزِّل سبحانه وعظمة المُنزَل في هداية الخلـق ، قـال تعالى : " مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَـى"(طـه : ٢-٣) ، وفي ذكر اسمه الرحمن لفتة إلى رحمة الله بعباده في إنزال القرآن وحبـه لهـم حفاظاً عليهم من الشقاء ، ففي القرآن تتجلى رحمة الله بعباده فـي تكاليفـه ، وطريق الوصول والقرب من ربهم ، والرحمة بالضعفاء والمظلـومين ، وكـذا رحمته سبحانه بالكافرين والظالمين حتى يرجعوا ويتوبوا. " تَنْزِيلًا – حَالٌ مِـنَ الْقُرْآنَ ثَانِيَةٌ ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا التَّنْوِيهُ بِالْقُرْآنِ وَالْعِنَايَةُ بِهِ لِيَنْتَقِلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَـى الْكِنَايَةِ بِأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ لَا يَتْرُكُ نَصْرَكَ وَتَأْيِيدَكَ. وَالْعُدُولُ عَنِ اسْمِ الْجَلَالَةِ أَوْ عَنْ ضَمِيرِهِ إِلَى الْمَوْصُولِيَّةِ لِمَا تُؤْذِنُ بِهِ الصِّلَةُ مِنْ تَحَتُّمِ إِفْـرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، لِأَنَّهُ خَالِقُ الْمُخَاطَبِينَ بِالْقُرْآنِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَلِذَلِكَ وَصَفَ السّماوات بِالْعُلَى صِفَةً كَاشِفَةً زِيَادَةً فِي تَقْرِيرِ مَعْنَـى عَظَمَـةِ خَالِقِهَـا ، وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ ذَلِكَ شَأْنَ مُنَزِّلِ الْقُرْآنِ لَا جَرَمَ كَانَ الْقُرْآنُ شَـيْئًا عَظِيمًـا ..... وذِكْرُ الِاسْتِوَاءِ عَلَيْ العرش زِيَادَةٌ فِي تَصْوِيرِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَعَةِ سُـلْطَانِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ:" مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّماواتِ الْعُلى" ، وَأَتْبَعَ مَـا دَلَّ عَلَـى عَظَمَـةِ سُلْطَانِهِ تَعَالَى بِمَا يَزِيدُهُ تَقْرِيرًا وَهُوَ جُمْلَةُ: لَهُ مَا فِي السَّماواتِ إِلَخْ. فَهِيَ بَيَـانٌ

لِجُمْلَةِ " الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى" ، وَالْجُمْلَتَانِ تَدُلَّانِ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ لِـأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ سَعَةِ السُّلْطَانِ(١).

٢ – المطلب الثاني : " قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً"(الفرقان: ٦):- **افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة المباركة بالتعظيم لذاته المباركة بأن نزّل الفرقان على عباده ليكون كتاب عمل ومنهاج حياة ، وأتبع سبحانه ذلك بالثناء على نفسه بأن له ملك السماوات والأرض وحده ولا ولد له ولا شريك له سبحانه ، ومن عظمته سبحانه أن خلق كل شئ فقدره بحكمته تقديرا ، ولكن المشركين أنكروا كل ذلك فاتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ، وأنكروا أن يكون القرآن الكريم كلام الله ، " فَلَقَّنَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْجَوَابَ لِرَدِّ بُهْتَانِ الْقَائِلِينَ إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَّا إِفْكٌ، وَإِنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بِأَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَعَبَّرَ عَنْ مُنْزِلِ الْقُرْآنِ بِطَرِيقِ الْمَوْصُولِ لِمَا تَقْتَضِيهِ الصِّلَةُ مِن اسْتِشْهَادِ رَسُولِ اللَّهَ عَلَى مَا فِي سِرِّهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ سِرٍّ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَجُمْلَةُ الصِّلَةِ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي لَازِمِ الْفَائِدَةِ وَهُوَ كَوْنُ الْمُتَكَلِّمِ أَيِ الرَّسُولِ عَالِمًا بِذَلِكَ ، وَفِي ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ مُرَاقَبَتِهِ اللَّهَ فِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنْهُ ، وَفِي ذَلِكَ إِيقَاظٌ لَهُمْ بِأَنْ يَتَدَبَّرُوا فِي هَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ إِفْكًا أَوْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ لِيَظْهَرَ لَهُمُ اشْتِمَالُهُ عَلَى الْحَقَائِقِ النَّاصِعَةِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ، فَيُوقِنُوا أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ إِنْزَالِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا بَرَاءَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِمَنْ زَعَمُوهُمْ يُعِينُونَهُ ، وَالتَّعْرِيفُ فِي " السِّرَّ" تَعْرِيفُ الْجِنْسِ يَسْتَغْرِقُ كُلَّ سِرٍّ، وَمِنْهُ إِسْرَارُ الطَّاعِنِينَ فِي الْقُرْآنِ عَنْ مُكَابَرَةٍ وَبُهْتَانٍ، أَيْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ**

١- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور (١٦/١٨٠- ١٨٣) .

يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يَعْتَقِدُونَهُ ظُلْمًا وَزُورًا مِنْهُمْ، وَبِهَذَا يُعْلَمُ مُوقِعُ جُمْلَةِ: إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً تَرْغِيبًا لَهُمْ فِي الْإِقْلَاعِ عَنْ هَذِهِ الْمُكَابَرَةِ وَفِي اتِّبَاعِ دِينِ الْحَقِّ لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ، وَذَلِكَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُقْلِعُوا وَيَتُوبُوا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْغَضَبُ وَالنِّقْمَةُ(١).

والْمَعْنَى " أَنَّ الْعَالِمَ بِكُلِّ سِرٍّ في السموات وَالْأَرْضِ هُوَ الَّذِي يُمْكِنُهُ إِنْزَالُ مِثْلِ هَذَا الْكِتَابِ، وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: الْمَعْنَى أَنَّهُ أَنْزَلَهُ من يعلم السر فلو كذب عليه لَانْتَقَمَ مِنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ" (الْحَاقَّةِ: ٤٤) وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ سِرٍّ خَفِيَ في السموات وَالْأَرْضِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ مَا تُسِرُّونَهُ أَنْتُمْ مِنَ الْكَيْدِ لِرَسُولِهِ مَعَ عِلْمِكُمْ بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ حَقٌّ ضَرُورَةً، وَكَذَلِكَ بَاطِنُ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَرَاءَتُهُ مِمَّا تَتَّهِمُونَهُ بِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُجَازِيكُمْ وَمُجَازِيهِ عَلَى مَا عَلِمَ مِنْكُمْ وَعَلِمَ مِنْهُ " (٢).

وعلم الله تعالى السرّ لا يقف بالأمر عند اطِّلاع الله على ما أخفاه المشركون ، أوعلمه سبحانه بحال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإنما نزول القرآن ممن يعلم السرّ في السماوات والأرض ، يدل على كمال القرآن من كل نقص ، ورفعته عن كل خلل ، وإجابته عن كل سؤال ، وحلِّه لكل إشكال ، ومتعته لكل متدبر أو قارئ أو عالم ، وفوق كل ذلك الأجر والثواب لمن قرأ ، والمنزلة والرفعة في الآخرة لمن آمن به وعمل بما فيه ، نسأل الله الفوز العظيم في الدنيا والآخرة .

١- التحرير والتنوير (١٨/٣٢٥) .

٢- التفسير الكبير (٢٤/ ٤٣٤) .

٣ – المطلب الثالث : " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (الشعراء: ١٩٢) :- **لما ذكر تعالى قصص الأنبياء مع أممهم، وكيف دعوهم، وما ردوا عليهم به؛ وكيف أهلك الله أعداءهم، وصارت لهم العاقبة ، ذكر هذا الرسول الكريم وما جاء به من الكتاب الذي فيه هداية لأولي الألباب فقال:** "وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" **فالذي أنزله فاطر الأرض والسماوات، المربي جميع العالم العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم فإنه يربيهم أيضا بهدايتهم لمصالح دينهم وأخراهم، ومن أعظم ما رباهم به إنزال هذا الكتاب الكريم الذي اشتمل على الخير الكثير، وفيه من الهداية لمصالح الدارين ما ليس في غيره، وفي قوله :**" وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" **من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه من كونه نزل من الله لا من غيره، مقصودا فيه نفعكم وهدايتكم. " نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ" وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم "الأمِينُ" الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص."عَلَى قَلْبِكَ" يا محمد "لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ" تهدي به إلى طريق الرشاد، وتنذر به عن طريق الغي.** "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ" **وهو أفضل الألسنة، بلغة من بعث إليهم، أصل اللسان البين الواضح. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة خرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين.**"وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأوَّلِينَ" **أي: قد بشرت به كتب الأولين وصدقته (١).**

١- تفسير السعدي صـ٥٩٧ .

ومعنى" أنه منزَّل من جهتِه تعالى سمِّي به مبالغةً ووصفه تعالى بربوبيَّةِ العالمين للإيذانِ بأنَّ تنزيلَه من أحكامِ تربيتهِ تعالى ورأفتِه للكُلِّ كقوله تعالى"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء:١٠٧) **(١).**

" ثم ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مِنْ وَجْهَيْنِ:الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ :" وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " **وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لِفَصَاحَتِهِ مُعْجِزٌ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الثاني: لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ الْقَصَصِ الْمَاضِيَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ الْبَتَّةَ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّه تَعَالَى"(٢).**

وإذا كان من معاني الرب : هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم ، وبالأخص تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم ، فكتابه سبحانه صفة له ، فمن آمن بكتابه واتبعه رباه القرآن في قلبه وروحه وخلقه فكان في المقام العالي دنيا وآخرة ومن أراد دليلاً فلينظر إلى محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وما صنعوا للبشرية .

وما كان من ربِّ العالمين ففيه الرحمة والعطف واللطف والقرب ، وفيه العظمة والمجد فلا يقبل الغيير ولا التجديد ، وفيه العدل والإنصاف فلا يقبل الظلم أبداً ، إنه تنزيلٌ من ربِّ العالمين .

٤ – المطب الرابع : " وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ"(النمل: ٦) :- **كعادة السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة يكون الحديث بعدها عن عظمة القرآن**

١- تفسير أبي السعود / محمد بن محمد بن مصطفى ٩٨٢هـ (٢٣٦/٦) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢- التفسير الكبير (٢٤/ ٥٣٠) ، التحرير والتنوير (١٨٨/١٩) .

فقال سبحانه : " تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات " هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " تهدي المؤمنين إلى سلوك الصراط المستقيم ، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق . ثمّ بين تبارك وتعالى طريق النجاة وأكده بمؤكدات حتى لا يشك فيه أحد فقالسبحانه: " وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ" **إن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه ينزل من عند " حَكِيمٍ" يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها " عَلِيمٍ " بأسرار الأمور وبواطنها كظواهرها ، وإذا كان من عند "حَكِيمٍ عَلِيمٍ" ففيه صلاح عاجل وآجل أمرهم ، وما كان كذلك وجب اتباعه ، وفي الآية تهديد ووعيد لمن تخلف لأن العليم الحكيم سبحانه سيحابه أشد المحاسبة ويعاقبه سوء العقاب(١)**

"وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى" عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ: " تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ" (النَّمل: ١) **انْتِقَالٌ مِنَ التَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ إِلَى التَّنْوِيهِ بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ آيَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ كِتَابٌ مُبِينٌ. وَذَلِكَ آيَةُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ بِأَنَّهُ آيَةٌ عَلَى صِدْقِ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ إِذْ أَنْبَأَهُ بِأَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ الْمَاضِينَ الَّتِي مَا كَانَ يَعْلَمُهَا هُوَ وَلَا قَوْمُهُ قَبْلَ الْقُرْآنِ. وَمَا كَانَ يَعْلَمُ خَاصَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهَا أَكْثَره مُحَرَّفٌ. وَأَيْضًا فَهَذَا تَمْهِيدٌ لِمَا يَذْكُرُ بَعْدَهُ مِنَ الْقِصَصِ. وتُلقَّى تَمْثِيلٌ لِحَالِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ إِلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَالِ التَّلْقِيَةِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ سَعَى لِلْجَمْعِ بَيْنَ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا بُنِيَ الْفِعْلُ إِلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُ اللهُ أَوْ جِبْرِيلَ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ: وَهُوَ أَنَّك مؤتى الْوَحْي من لدن حَكِيم عليم. وتأكيد الْخَبَر**

١- تفسير السعدي صـ ٦٠٠ .

لمُجَرّد الاهتمام لِأَن الْمُخَاطب هُوَ النبي وَهُوَ لَا يتَرَدَّد فِي ذَلِك، أَو يَكُونُ التَّأْكِيدُ مُوَجَّهًا إِلَى السَّامِعِينَ مِنَ الْكُفَّارِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّعْرِيضِ. وَالْحَكِيمُ: الْقَوِيُّ الْحِكْمَةِ، وَالْعَلِيمُ: الْوَاسِعُ الْعِلْمِ، وَفِي التَّنْكِيرِ إِيذَانٌ بِتَعْظِيمِ هَذَا الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ حَكِيمٍ أَيُّ حَكِيمٍ، وَعَلِيمٍ أَيُّ عَلِيمٍ ، وَفِي الْوَصْفَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مُنَاسَبَةٌ لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَلِلْمَهْدِى إِلَيْهِ، فَإِنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ دَلِيلٌ عَلَى حِكْمَةِ وَعِلْمِ مَنْ أَوْحَى بِهِ، وَأَنَّ مَا يُذْكَرُ هُنَا مِنَ الْقَصَصِ وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْهَا مِنَ الْمَغَازِي وَالْأَمْثَالِ وَالْمَوْعِظَةِ، مِنْ آثَارِ حِكْمَةِ وَعَلْمِ حَكِيمٍ عَلِيمٍ، وَكَذَلِكَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَثْبِيتِ فؤاد الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

والمراد وإنك لتعطي القرآن تلقنه مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ أي حكيم وأي عليم، وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه الصلاة والسلام في معرفته والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق ، وجمع بين الحكمة والعلم مع أنه داخل في معناها لغة للإشعار بأن ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالشرائع ، ومنها ما هو ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية(٢). ولذلك قيل منتهى الحكمة أن تطبق الشرع حتى لو لم تفهم المراد منه ، تجنى الثمر كله فى كل وقت في الدنيا والآخرة ، ومن توقف عن تطبيق الشرع ضل وأضل .

١- التحرير والتنوير (٢٢٣/١٩) ، تفسير أبي السعود (٢٧٣/٦) ، التفسير الوسيط / محمد سيد طنطاوي (١٠ /٣٠٢) .

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين الألوسي١٢٧٠هـ (١٥٥/١٠) ، تحقيق/علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤١٥ هـ .

وفي تعريف الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، وأجل الأشياء هو الله فمن عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل ليس حكيماً، وليس في القرآن شيئٌ غير معرفة الله ، وقد جمع ربنا بين الحكمة والعلم ، وعلم الله في كتابه واضح ، قال تعالى : "لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً " (النساء:١٦٦) ، **فكأن الله جمع العلم كله في كتابه ، فمن فقه القرآن جمع بين العلم والحكمة . ألم تر إلى الحكمة في التشريع ، أم في التعامل مع المسلم ومع غير المسلم – كما هو في التعامل مع فرعون – في حالة السلم والحرب ، أم في التربية للأفراد والأمم ، ..... ، وانظر إلى العلم الذي يتحدث ذات الله سبحانه وتعالى ، وعن أنبيائه ورسله ، ثم عن الآخرة ، وكذا الحديث عن آيات الله في الكون ، وعن الإنسان ،..... .**

٥ – المطلب الخامس:" تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"(السجدة: ٢) : – **في هذه السورة الكريمة يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته، ومن أعظم ما رباهم به هذا الكتاب الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه ولا شك ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله ، ورمي محمد – صلى الله عليه وسلم – بأعظم الكذب، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق. وكل واحد من هذه من الأمور العظائم، قال الله – رادًا على من قال: افتراه:– " بَلْ هُوَ الْحَقُّ" الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه " مِنْ رَبِّكَ " أنزله رحمة للعباد** " لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ " **فأنزلنا الكتاب**

عليك " لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ " من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه، وهذه الأشياء التي ذكرها الله كلها، مناقضة لتكذيبهم له: وإنها تقتضي منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه " مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" وأنه " الْحَقُّ " والحق مقبول على كل حال، وأنه " لا رَيْبَ فِيهِ " بوجه من الوجوه، فليس فيه، ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق الواقع ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان(١).

قَوْلُهُ " مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ" مِنْ عِنْدِهِ وَوَحْيُهُ، كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ. وَوَقَعَتْ جُمْلَةُ لَا رَيْبَ فِيهِ بِأُسْلُوبِ الْمَعْلُومِ الْمُقَرَّرِ فَلَمْ تُجْعَلْ خَبَرًا ثَانِيًا عَنِ الْمُبْتَدَأِ لِزِيَادَةِ التَّشْوِيقِ إِلَى الْخَبَرِ لِيُقَرِّرَ كَوْنَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَعْنَى لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِأَنْ يَرْتَابَ أَحَدٌ فِي تَنْزِيلِهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِمَا حَفَّ بِتَنْزِيلِهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ ، بِسَبَبِ إِعْجَازِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ فَضْلًا عَنْ مَجْمُوعِهِ، وَمَا عَضَّدَهُ مِنْ حَالِ الْمُرْسَلِ بِهِ مِنْ شُهْرَةِ الصِّدْقِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَمَجِيءِ مِثْلِهِ مِنْ مِثْلِهِ مَعَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ وَصْفِ الْأُمِّيَّةِ. فَمَعْنَى نَفْيِ أَنْ يَكُونَ الرَّيْبُ مَظْرُوفًا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنَّهُ لَا يَشْتَمِلُ عَلَى مَا يُثِيرُ الرَّيْبَ، فَالَّذِينَ ارْتَابُوا بَلْ كَذَّبُوا أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُمْ لَا يَعْدُونَ أَنْ يَكُونُوا مُتَعَنِّتِينَ عَلَى عِلْمٍ، أَوْ جُهَّالًا يَقُولُونَ قَبْلَ أَن يتأملوا وينظروا ، وَالْأَوَّلُونَ زُعَمَاؤُهُمْ وَالْأَخِيرُونَ دَهْمَاؤُهُمْ ، وَاسْتِحْضَارُ الْجَلَالَةِ بِطَرِيقِ الْإِضَافَةِ بِوَصْفِ رَبِّ الْعَالَمِينَ دُونَ الِاسْمِ الْعَلَمِ وَغَيْرِهِ مِنْ طُرُقِ التَّعْرِيفِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى عُمُومِ الشَّرِيعَةِ وَكَوْنِ كِتَابِهَا مُنَزَّلًا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا

١- تفسير السعدي صـ٦٥٣ – بتصرف كبير .

قَالَ تَعَالَى: "مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ " (الْمَائِدَة: ٤٨) . **وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ دَوَاعِي تَكْذِيبِهِمْ بِهِ أَنَّهُ كَيْفَ خَصَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ بَشَرًا مِنْهُمْ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّ رُبُوبِيَّةَ الله للْعَالمين تنبىء عَنْ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَأَنَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَل رسالاته(١).**

والضمير في" فِيهِ" راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أى في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله "أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ " **لأنّ قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله" بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ " وما فيه من تقدير أنه من الله، وهذا أسلوب صحيح محكم: أثبت أوّلا: أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله " أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ " لأن " أم " هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، إنكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره: في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك، ومعنى لا رَيْبَ فِيهِ أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله، لأن نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر، ومثله أبعد شيء من الريب. وأما قولهم افْتَراهُ فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له، أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه (٢).**

١- التحرير والتنوير (٢٠٥/٢١).

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/محمود بن عمرو الزمخشري ٥٣٨هـ (٥٠٦/٣)،دار الكتاب العربي، بيروت ، الثالثة ١٤٠٧ هـ.

وإذا كان من رب العالمين فيجب أن يمجّد ويقدّس في قلوب الذين آمنوا به ، ويجب عليهم أنّ يعملوا بما فيه فلا يخرجوا عنه في شيئٍ واحد ، ويجب عليهم أن يدفعوا عنه افتراء الكاذبين وتطاول السفهاء المفلسين .

٦ – المطلب السادس : " تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"(يس: ٦) :- ابتدئ ربنا تبارك وتعالى هذه السورة الكريمة بعد الأحرف المقطعة بقسم منه تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة، فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة ، " إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ " هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد صلى اللّه عليه وسلم ، وإنك من جملة المرسلين، فلست ببدع من الرسل، ولا يخفى ما بين المقسم به وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه وهو رسالة الرسول – محمد صلى اللّه عليه وسلم – من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم لكفى ، ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول صلى اللّه عليه وسلم، الدالة على رسالته، وهو أنه " عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " معتدل، موصل إلى اللّه وإلى دار كرامته ، مشتمل على أعمال مصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ووصف دينه الذي جاء به، فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، " تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ " فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقا لعباده، موصلا لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته ، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: العزيز. الرحيم ، ثم ذكر سبحانه شدة الحاجة إليه واقتضاء الضرورة له فقال: " لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ

آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ " وهم العرب الأميون ومن لحق بهم من كل أمـــي، ويـــذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصـــا، وعلـــى غيرهم عموما (١).

وَالتَّنْزِيلُ: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أُخْبِرَ عَنْهُ بِالْمَصْدَرِ لِلْمُبَالَغَـــةِ فِـــي تَحْقِيقِ كَوْنِهِ مُنَزَّلًا وَأُضِيفَ التَّنْزِيلُ إِلَى اللَّهِ بِعُنْوَانِ صِفَتَيِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِأَنَّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ مِنْ آثَارِ عِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَا فِيهِ مِـــنْ حَمْلِ النَّاسِ عَلَى الْحَقِّ وَسُلُوكِ طَرِيقِ الْهُدَى دُونَ مُصَانَعَةٍ وَلَا ضَعْفٍ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِنْذَارِ وَالْوَعِيدِ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالْكُفْرَانِ. وَأَنْ يَكُونَ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ وَهُوَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ نَصْبِ الْأَدِلَّةِ وَتَقْرِيبِ الْبَعِيدِ وَكَشْفِ الْحَقَائِقِ لِلنَّاظِرِينَ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْبِشَارَةِ لِلَّذِينِ يَكُونُونَ عِنْدَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ هُوَ مَا وَرَدَ بَيَانُهُ بَعْـــدُ إِجْمَالًا مِنْ قَوْلِهِ:" لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ" (يس: ٦) ثُـــمَّ تَفْصِـــيلًا بِقَوْلِهِ:" لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ" (يس: ٧) وَبِقَوْلِهِ:"إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَـــعَ الـــذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ"(يس:١١)(٢).

" تنزيل " مصدرٌ بمعنى المفعولِ عبَّر به عن القرآنُ بياناً لكمال عراقتِـــه في كونِه منزَّلاً من عندِ الله عزَّ وجلَّ كأنَّه نفـــس التَّنزيـــلِ واظهـــارا لفخامتِـــه الإضافيةِ بعدَ بيانِ فخامتِه الذَّاتيَّةِ بوصفه بالحكمة وفـــي تخصـــيص الاســـمين الكريمين المُعربين عن الغلبةِ التَّامةِ والرأفة العامة حثّ على الايمـــان ترهيبـــاً وترغيباً وإشعارٌ بأنَّ تنزيلَه ناشيءٌ عن غايةِ الرَّحمةِ حسبما نطـــقَ بـــه قولُـــه

١- تفسير السعدي صـــ ٦٩٢- بتصرف كبير .

٢- التحرير والتنوير (٣٤٧/٢٢) .

تعالى" وَمَا أرسلناك إِلاَّ رَحْمَةً للعالمين" ، وقيل النصبُ على أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ لفعلِه المضمرِ أي نزل تنزيل العزيزِ الرَّحيمِ على أنَّه استئنافٌ مَسوقٌ لبيان ما ذُكر من فخامةِ شأنِ القُرآن وعلى كلِّ تقديرٍ ففيهِ فضلُ تأكيدٍ لمضمونِ الجملة القَسميةِ " (١) .

إذا كان معنى العزيز / هو الذى يقل وجود مثله ، وتشتد إليه الحاجة، ويصعب الوصول إليه ، فكتاب الله لا مثيل له ، وكمال هذه الصفة أن يصبح واحداً فتشد الحاجة إليه ، وكمال هذه الصفة يصعب الوصول إليه فلا يمكن أن يحيط به أحدٌ فالكل يدور حوله ، ولذا جمع الله مع هذه العزة الرحمة ، والرحمة : هى إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهته النفس ، وكذلك كتاب الله رحمة لكل الخلق ، ولا رحمة لأحد أبدا من غير كتاب الله ، ولذا قال بعدها " لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ " (يس:٦) .

٧ – **المطلب السابع**:" تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"(الزمر: ٢،الجاثية :٢ ، الأحقاف : ٢) :- " **تنزيل الكتاب من الله " وكل ما كان من الله فلا مثيل له ، فالله هو الإسم الذى جمع الأسماء الحسنى والصفات العلا والكمال الذاتى والكمال الفعلى فى محتواه ، وهو اسم لم يسم به غيره ، وهو الإسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات ، ولذا " يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل من عنده ، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره ، فالقرآن نازل ممن هذا وصفه ، والكلام**

١- تفسير أبي السعود (٧/ ١٥٩) ، تفسير الألوسي(١١/ ٣٨٥).

وصف للمتكلم ، والوصف يتبع الموصوف ، فكما أن الله تعالى هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له ، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته ، ولكنه – مع هذا – زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه وهو محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه، لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، ونزل مشتملا على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلا الضلال. ولما كان نازلا من الحق، مشتملا على الحق لهداية الخلق، على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة، وجلَّت، ووجب القيام بشكرها، وذلك بإخلاص الدين لله " (١).

هذه " فَاتِحَةٌ أَنِيقَةٌ فِي التَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ جُعِلَتْ مُقَدِّمَةً لِهَذِهِ السُّورَةِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَامِعٌ لِمَا حَوَتْهُ وَغَيْرَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ. فَتَنْزِيلُ: مَصْدَرُ نَزَّلَ الْمُضَاعَفِ وَهُوَ مُشْعِرٌ بِأَنَّهُ أَنْزَلَهُ مُنَجَّمًا. وَاخْتِيَارُ هَذِهِ الصِّيغَةِ هُنَا لِلرَّدِّ عَلَى الطَّاعِنِينَ لِأَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ مَا تَعَلَّلُوا بِهِ قَوْلُهُمْ:" لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً"(الْفرْقَان: ٣٢) . وَالتَّعْرِيفُ فِي الْكِتابِ لِلْعَهْدِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمَعْهُودُ بَيْنَهُمْ عِنْدَ كُلِّ تَذْكِيرٍ وَكُلِّ مُجَادَلَةٍ. وَأُجْرِيَ عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ الْوَصْفُ بِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ مَا يُنَزَّلُ مِنْهُ يَأْتِي عَلَى مَا يُنَاسِبُ الصِّفَتَيْنِ، فَيَكُونُ عَزِيزًا ، قَالَ تَعَالَى: " وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ " (فصلت: ٤١) ، أَيِ الْقُرْآنُ، عَزِيزٌ غَالِبٌ بِالْحُجَّةِ لِمَنْ كَذَّبَ بِهِ، وَغَالِبٌ بِالْفَضْلِ لِمَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْغَلَبَةَ تَسْتَلْزِمُ التَّفَضُّلَ وَالتَّفَوُّقَ، وَغَالِبٌ

١- تفسير السعدي صـ ٧١٧ .

لِبُلَغَاءِ الْعَرَبِ إِذْ أَعْجَزَهُمْ عَنْ مُعَارَضَةِ سُورَةٍ مِنْهُ، وَيَكُونُ حَكِيمًا مِثْلَ صِفَةِ مُنْزِلِهِ. وَالْحَكِيمُ: إِمَّا بِمَعْنَى الْحَاكِمِ، فَالْقُرْآنُ أَيْضا حَاكم عَلَى مُعَارِضِيهِ بِالْحُجَّةِ، وَحَاكِمٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ بِمَا فِيهِ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالْبَيَانِ قَالَ تَعَالَى:" مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ" (الْمَائِدَة: ٤٨) ، وَإِمَّا بِمَعْنَى: الْمُحْكَمِ الْمُتْقَنِ، فَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْبَيَانِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَإِمَّا بِمَعْنَى الْمَوْصُوفِ بِالْحِكْمَةِ، فَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْحِكْمَةِ كَاتِّصَافِ مُنَزِّلِهِ بِهَا. وَهَذِهِ مَعَانٍ مُرَادَةٌ مِنَ الْآيَةِ فِيمَا نَرَى، عَلَى أَنَّ فِي هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ ببلاغة لَفظه وبإعجازه العلمي، إِذا اشْتَمَلَ عَلَى عُلُومٍ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ عِلْمٌ بِهَا. وَفِي وَصْفِ الْحَكِيمِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ أَنْزَلَهُ بِالْحِكْمَةِ وَهِيَ الشَّرِيعَةُ : " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ" (الْبَقَرَة: ٢٦٩) ، وَفِي هَذَا إرشاد إِلَى وجوب التَّدَبُّرِ فِي مَعَانِي هَذَا الْكِتَابِ لِيُتَوَصَّلَ بِذَلِكَ التَّدَبُّرِ إِلَى الْعِلْمِ بِأَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى:" سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"(فصلت: ٥٣).

وَمَعْنَى الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ : أنّ الْعَزِيزُ فَعِيلٌ مِنْ عَزَّ إِذَا قَوِيَ وَلَمْ يُغْلَبْ، وَأَصله مِنَ الْعِزَّةِ ، وَالْعِزَّةُ صِفَةٌ يَرَى صَاحِبُهَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَلَا يُعَارَضُ فِي كَلَامِهِ لِأَجْلِ مَكَانَتِهِ فِي قَوْمِهِ وَاعْتِزَازِهِ بِقُوَّتِهِمْ قَالَ السَّمَوْأَلُ:

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ – وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

وَمِنْهُ الْعِزَّةُ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ وَالْغَلَبَةِ وَإِنَّمَا تَكُونُ غَالِبًا فِي الْعَرَبِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْقَبِيلَةِ، وَقَدْ تُغْنِي الشَّجَاعَةُ عَنِ الْكَثْرَةِ وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ، وَقَالُوا: لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قِلَّةٍ وَقَالَ السَّمَوْأَلُ: وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ ، فَالْعِلْمُ بِأَنَّهُ تَعَالَى عَزِيزٌ مُسْتَلْزِمًا تَحَقُّقَهُمْ أَنَّهُ مُعَاقِبُهُمْ لَا يُفْلِتُهُمْ، لِأَنَّ الْعَزِيزَ لَا يَنْجُو مَنْ يُنَاوِئُهُ.

وَالْحَكِيمُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ فَاعِلٍ مِنْ حَكَمَ أَيْ قَوِيُّ الْحُكْمِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ الْمُحْكِمُ لِلْأُمُورِ فَهُوَ مِنْ مَجِيءِ فَعِيلٍ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، وَمُنَاسَبَتُهُ هُنَا أَنَّ الْمُتْقِنَ لِلْأُمُورِ لَا يُفْلِتُ مُسْتَحِقَّ الْعُقُوبَةِ.

وَافْتِتَاحُ جُمْلَةِ إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ بِحَرْفِ (إِنَّ) مُرَاعًى فِيهِ مَا اسْتُعْمِلَ فِيهِ الْخَبَرُ مِنَ الامْتِنَانِ. فَيُحْمَلُ حَرْفُ (إِنَّ) عَلَى الاهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ. وَمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّعْرِيضِ بِالَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ مُنَزَّلًا مِنَ اللَّهِ فَيُحْمَلُ حَرْفُ (إِنَّ) عَلَى التَّأْكِيدِ اسْتِعْمَالًا لِلْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ ، وَلِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ زِيَادَةِ الْإِعْلَانِ بِصِدْقِ النَّبِيِّ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ الْكِتَابُ جَدِيرٌ بِالتَّأْكِيدِ ، لِأَنَّ دَلِيلَ صِدْقِهِ لَيْسَ فِي ذَاتِهِ بَلْ هُوَ قَائِمٌ بِالْإِعْجَازِ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ وَبِغَيْرِهِ مِنَ المعجزات، فَكَانَ مقتضى التَّأْكِيدِ مَوْجُودًا بِخِلَافِ مُقْتَضَى الْحَالِ فِي قَوْلِهِ: تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ ، فَجُمْلَةُ "إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ " تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْبَيَانِ لِجُمْلَةِ تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ ، وَإِعَادَةُ لَفْظِ الْكِتابِ لِلتَّنْوِيهِ بِشَأْنِهِ جَرْيًا عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ بِالْإِظْهَارِ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ، وَالْبَاءُ فِي بِالْحَقِّ لِلْمُلَابَسَةِ، وَهِيَ ظَرْفٌ مُسْتَقِرٌّ حَالًا مِنَ الْكِتابَ، أَيْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ مُلَابِسًا لِلْحَقِّ فِي جَمِيعِ مَعَانِيهِ لَا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ (فصلت: ٤٢) (١).

١- التحرير والتنوير (٣١٣/٢٣) . التفسير الكبير (٢٦/ ٤١٩) ، تفسير السعدي صـ ٧١٧ ، تفسير الألوسي (٢٢٤/١٢) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/محمد المختار الشنقيطي ١٣٩٣هـ (٣٥١/٦) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ .

٨ – المطلب الثامن:" تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (غافر : ٢):-

تَنْزِيلُ مَصْدَرٌ، لَكِنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْمُنَزَّلُ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ مِنَ اللَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ وَجَبَ بَيَانُ أَنَّ الْمُنَزَّلَ مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: مِنَ اللَّهِ ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَسِمَاتِ الْعَظَمَةِ لِيَصِيرَ ذَلِكَ حَامِلًا عَلَى التَّشْمِيرِ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ عِنْدَ الِاسْتِمَاعِ وَزَجْرِهِ عَنِ التَّهَاوُنِ وَالتَّوَانِي فِيهِ، فَبَيَّنَ أَنَّ الْمُنَزَّلَ هُوَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وقَوْلُهُ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ يَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ تَنْزِيلٌ مِنَ الْقَادِرِ الْمُطْلَقِ، الْغَنِيِّ الْمُطْلَقِ، الْعَالِمِ الْمُطْلَقِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ عَالِمًا بِوُجُوهِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، وَكَانَ عَالِمًا بِكَوْنِهِ غَنِيًّا عَنْ جَرِّ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَفَاسِدِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ رَحِيمًا جَوَادًا، وَكَانَتْ أَفْعَالُهُ حِكْمَةً وَصَوَابًا مُنَزَّهَةً عَنِ الْقَبِيحِ وَالْبَاطِلِ، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا ذَكَرَ عَقِيبَ قَوْلِهِ تَنْزِيلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ لِكَوْنِهَا دَالَّةً عَلَى أَنَّ أَفْعَالَهُ سُبْحَانَهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ، وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّنْزِيلُ حَقًّا وَصَوَابًا، وَقِيلَ الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ الَّذِي يَتَضَمَّنُ الْمَصَالِحَ وَالْإِعْجَازَ، وَلَوْلَا كَوْنُهُ عَزِيزًا عَلِيمًا لَمَا صَحَّ ذَلِكَ . وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَكَفَّلَ بِحِفْظِهِ وَبِعُمُومِ التَّكْلِيفِ فِيهِ وَظُهُورِهِ إِلَى حِينِ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ، وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَوْنِهِ عَزِيزًا لَا يُغْلَبُ وَبِكَوْنِهِ عَلِيمًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ(١) .

١- التفسير الكبير (٢٧/ ٤٨٢) .

قال القرطبي:وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَلَيْسَ مَنْقُولًا وَلَا مِمَّا يجوز أن يكذب به(١).

قال الألوسي: ولعل تخصيص الوصفين لما في القرآن الجليل من الإعجاز وأنواع العلوم التي يضيق عن الإحاطة بها نطاق الإفهام أو هو على نحو تخصيص الوصفين فيما سبق فإن شاء البليغ علمه بالأشياء أن يكون حكيما إلا أنه قيل الْعَلِيمِ دون الحكيم تفننا (٢).

بعد افتتاح السورة بالأحرف المقطعة يخبر تعالى عن كتابه العظيم وبأنه صادر ومنزل من الله المألوه المعبود، لكماله وانفراده بأفعاله، "الْعَزِيزِ" الذي قهر بعزته كل مخلوق "الْعَلِيمِ" بكل شيء ، "غَافِرِ الذَّنْبِ" للمذنبين " وَقَابِلِ التَّوْبِ" من التائبين، " شَدِيدِ الْعِقَابِ" على من تجرأ على الذنوب ولم يتب منها، " ذِي الطَّوْلِ" أي: التفضل والإحسان الشامل. فلما قرر ما قرر من كماله وكان ذلك موجبًا لأن يكون وحده، المألوه الذي تخلص له الأعمال قال: " لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ " .

ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن، من المعاني فإن القرآن: إما إخبار عن أسماء الله وصفاته وأفعاله. وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة . وإما إخبار عن نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك، من الأوامر " ذِي الطَّوْلِ " . وإما إخبار عن نقمه الشديدة، وعما يوجبها

١- تفسير القرطبي (١٥/٢٩٠) .

٢- روح المعاني / الألوسي (١٢/٢٩٥).

ويقتضيها من المعاصي " شَدِيدِ الْعِقَابِ " ، **وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار** " غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ " ، **وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها والترهيب منها** " لا إِلَهَ إِلا هُوَ" ، **وإما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين** " إِلَيْهِ الْمَصِيرُ " ، **فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات (١).**

٩ – المطلب التاسع : " تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم "(فصلت : ٢):-

يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل " تَنزيلُ " صادر " مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" **الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به من العلم والهدى والنور والشفاء والرحمة والخير الكثير ما هو من أجل نعمه على العباد ، وهو الطريق للسعادة في الدارين. ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال:** " فُصِّلَتْ آيَاتُهُ " **أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق.** " قُرْآنًا عَرَبِيًّا" **أي: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فصلت آياته وجعل عربيًا.** " **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** " **أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والْغَيِّ من الرشاد ،وأما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا ولا البيان إلا عَمًى فهؤلاء لم يُسَق الكلام لأجلهم، "**

١- تفسير السعدي صـ ٧٣١- بتصرف كبير .

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ"، " **بَشِيرًا وَنَذِيرًا**" **أي: بشيرًا بالثواب العاجل والآجل ، ونذيرًا بالعقاب العاجل والآجل (١).**

" تَنزِيلٌ": **وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ مُنَزَّلٌ، فَالْمَصْدَرُ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ ، وَهُوَ مُبَالَغَةٌ فِي كَوْنِهِ فَعَلَ اللَّهُ تَنْزِيلَهُ، تَحْقِيقًا لِكَوْنِهِ مُوحًى بِهِ وَلَيْسَ مَنْقُولًا مِنْ صُحُفِ الْأَوَّلِينَ. وَتَنْكِيرُ تَنْزِيلٌ وكِتابٌ لِإِفَادَةِ التَّعْظِيمِ ، وَسُمِّيَ الْقُرْآنُ كِتَابًا لِأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى بِأَلْفَاظِهِ وَأمر رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَكْتُبَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ اتخذ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتَّابًا يَكْتُبُونَ لَهُ كُلَّ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِيثَارُ الصِّفَتَيْنِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ الصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّنْزِيلَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:** " فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ" **(الْأَنْعَام: ١٥٧)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:** " وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ "**(الْأَنْبِيَاء: ١٠٧) ، وَقَوْلِهِ:**" أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"**(العنكبوت:٥١) ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ صِفَتَيِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ أَثْبَتَ الْقُرْآنُ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ:**" وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" (الْأَعْرَاف: ١٥٦)، **وهِيَ إِرَادَةِ اللَّهِ إِيصَالَ الْإِحْسَانِ إِلَى مَخْلُوقَاتِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِعَانَةِ ، وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى اسْتِحْمَاقِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الِاهْتِدَاءِ بِهَذَا الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ رَحْمَةٍ، وَأَنَّ الَّذِينَ اهْتَدَوْا بِهِ هُمْ أَهْلُ الْمَرْحَمَةِ لِقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ:**" قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي

١- تفسير السعدي صـ ٧٤٤ .

آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى"(فصلت:٤٤)(١) **قال الألوسي: وإضافة التنزيل إلى الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ من بين أسمائه تعالى للإيذان بأنه مدار المصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبىء عنه قوله تعالى:** " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " (الأنبياء: ١٠٧)(٢).

وبالجملة فالله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبرهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته ، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور ولا تيسرت الأشياء ولا حصلت المقاصد وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك وأجل وأعلى، وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافروالخيرالمتكاثر" إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"**(الأعراف: ٥٦)،ومن تمام هذه الرحمة وكمالها إنصاف الفقراء والضعفاء والمظلومين من الأطفال والنساء والرجال ، فليس في أهل الأرض رحمة بهؤلاء وغيرهم بعد كتاب الله ، فأين الوصية باليتيم والأسير والفقير والمسكين .... " تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" .**

١٠ – المطلب العاشر : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (فصلت:٤١ – ٤٢) :-

وَقَدْ أُجْرِيَ عَلَى الْقُرْآنِ سِتَّةُ أَوْصَافٍ مَا مِنْهَا وَاحِدٌ إِلَّا وَهُوَ كَمَالٌ عَظِيمٌ:

١- التحرير والتنوير (٢٣٠/٢٤) .

٢- روح المعاني / الألوسي (٣٤٨/١٢).

الْوَصْفُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ ذِكْرٌ، أَيْ يُذَكِّرُ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِمَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ مِمَّا فِي الْغَفْلَةِ عَنْهُ فَوَاتُ فَوْزِهِمْ.

الْوَصْفُ الثَّانِي مِنْ مَعْنَى الذِّكْرِ: أَنَّهُ ذِكْرٌ لِلْعَرَبِ وَسُمْعَةٌ حَسَنَةٌ لَهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ يُخَلِّدُ لَهُمْ مَفْخَرَةً عَظِيمَةً وَهُوَ كَوْنُهُ بِلُغَتِهِمْ وَنَزَلَ بَيْنَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ" (الزخرف: ٤٤) **وَفِي قَوْلِهِ: لَمَّا جاءَهُمْ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الثَّانِي.**

الْوَصْفُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ كِتَابٌ عَزِيزٌ، وَالْعَزِيزُ النَّفِيسُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعِزَّةِ وَهِيَ الْمَنَعَةُ ، فَإِنَّهُ بَيْنَ الْإِتْقَانِ وَعُلُوِّ الْمَعَانِي وَوُضُوحِ الْحُجَّةِ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ يَكُونُ عَزِيزًا، وَالْعَزِيزُ أَيْضًا: الَّذِي يَغْلِبُ وَلَا يُغْلَبُ، وَكَذَلِكَ حُجَجُ الْقُرْآنِ.

الْوَصْفُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَا يَتَطَرَّقُهُ الْبَاطِلُ وَلَا يُخَالِطُهُ صَرِيحُهُ وَلَا ضِمْنِيُّهُ، أَيْ لَا يَشْتَمِلُ عَلَى الْبَاطِلِ بِحَالٍ ، فَمَعْنَى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ لَا يُوجَدُ فِيهِ وَلَا يُدَاخِلُهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُدْعَى عَلَيْهِ الْبَاطِلُ.

الْوَصْفُ الْخَامِسُ: أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْحِكْمَةِ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ، وَلَا يَصْدُرُ عَنِ الْحَكِيمِ إِلَّا الْحِكْمَةُ:" وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً "(الْبَقَرَة: ٢٦٩) **فَإِنَّ كَلَامَ الْحَكِيمِ يَأْتِي مُحْكَمًا مُتْقَنًا رَصِينًا لَا يَشُوبُهُ الْبَاطِلُ.**

الْوَصْفُ السَّادِسُ: أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَمِيدٍ، وَالْحَمِيدُ هُوَ الْمَحْمُودُ حَمْدًا كَثِيرًا، أَيْ مُسْتَحِقٌّ الْحَمْدَ الْكَثِيرَ، فَالْكَلَامُ الْمُنَزَّلُ مِنْهُ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ وَإِنَّمَا يُحْمَدُ الْكَلَامُ إِذْ يَكُونُ دَلِيلًا لِلْخَيْرَاتِ وَسَائِقًا إِلَيْهَا لَا مَطْعَنَ فِي لَفْظِهِ وَلَا فِي مَعْنَاهُ، فَيَحْمَدُهُ سَامِعُهُ كَثِيرًا لِأَنَّهُ يَجِدُهُ مَجْلَبَةً لِلْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَيُحْمَدُ قَائِلُهُ لَا مَحَالَةَ خِلَافًا لِلْمُشْرِكِينَ.

وَفِي إِجْرَاءِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ إِيمَاءٌ إِلَى حَمَاقَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ وَسَفَاهَةِ آرَائِهِمْ إِذْ فَرَّطُوا فِيهِ فَفَرَّطُوا فِي أَسْبَابِ فَوْزِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلِذَلِكَ جِيءَ بِجُمْلَةِ الْحَالِ مِنَ الْكِتَابِ عَقِبَ ذِكْرِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ فَقَالَ: وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ الْآيَاتِ (١).

قال الرازي : وَلَمَّا بَالَغَ فِي تَهْدِيدِ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ أَتْبَعَهُ بِبَيَانِ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ:" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ " ، وَهَذَا أَيْضًا تَهْدِيدٌ ،ثم قال:" وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ" وَالْعَزِيزُ لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا: الْغَالِبُ الْقَاهِرُ ، وَالثَّانِي: الَّذِي لَا يُوجَدُ نَظِيرُهُ، أَمَّا كَوْنُ الْقُرْآنِ عَزِيزًا بِمَعْنَى كَوْنِهِ غَالِبًا، فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ بِقُوَّةِ حُجَّتِهِ غَلَبَ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَمَّا كَوْنُهُ عَزِيزًا بِمَعْنَى عَدِيمِ النَّظِيرِ، فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ وَفِيهِ وُجُوهٌ: الْأَوَّلُ: لَا تُكَذِّبُهُ الْكُتُبُ الْمُتَقَدِّمَةُ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَلَا يَجِيءُ كِتَابٌ مِنْ بَعْدِهِ يُكَذِّبُهُ ، الثَّانِي: مَا حَكَمَ الْقُرْآنُ بِكَوْنِهِ حَقًّا لَا يَصِيرُ بَاطِلًا، وَمَا حَكَمَ بِكَوْنِهِ بَاطِلًا لَا يَصِيرُ حَقًّا ، الثَّالِثُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنْ أَنْ يُنْقَصَ مِنْهُ فَيَأْتِيَهُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، أَوْ يُزَادَ فِيهِ فَيَأْتِيَهُ الْبَاطِلُ مِنْ خَلْفِهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الْحِجْرِ: ٩) فَعْلُ هَذَا الْبَاطِلِ هُوَ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ ، الرَّابِعُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كتاب يمكن جَعْلُهُ مُعَارِضًا لَهُ وَلَمْ يُوجَدْ فِيمَا تَقَدَّمَ كِتَابٌ يَصْلُحُ جَعْلُهُ مُعَارِضًا ، الْخَامِسُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» هَذَا تَمْثِيلٌ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ، وَلَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ حَتَّى يَتَّصِلَ إِلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ

١- التحرير والتنوير (٢٤//٣٠٨) .

تَعَالَى: " تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد " **أَيْ حَكِيمٍ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، حَمِيدٌ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ نِعَمِهِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ جَعَلَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الفاتحة: ٢) فَاتِحَةَ كَلَامِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ خَاتِمَةَ كَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ قَوْلُهُم** "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" (الزمر: ٧٥) (١).

" وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ" **إنها كلمة جامعة مانعة ، ومن عزة هذا الكتاب أنه يمتنع حفظاً وفهماً عن الغافلين ، ومن حفظه وغفل عنه ذهب وتركه ، ولذا أوصى الحبيب – صلى الله عليه وسلم – بكثرة تعهده ، ومن تمام عزته أن الله لا يكشف غومضه ولا يفتح كنوزه إلا للمخلصين الصادقين – نسأل الله أن نكون منهم –** " مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ... "(الأنبياء: ٢) ، **ومن تواضع له وتأدب معه (بالوضوء ، القبلة ، ..) يسره الله له** { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}(القمر:١٧) ، **وأهل الذكر هم أهل الإيمان والتقوى .**

ومن تمام هذه العزة أنّ الله يعزّ أهل القرآن في الدنيا والآخرة ، قال – صلى الله عليه وسلم – " **إِن الله يرفع بِهَذَا الْكتاب أَقْوَامًا ، وَيَضَع بِهِ آخَرين "(٢) ، والأحاديث كثيرة في هذا الباب . ومن ثمّ يحسن الختام بقول ربنا : " تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ".**

١- التفسير الكبير (٢٧/ ٥٦٨) ، تفسير السعدي صـ ٧٥٠.

٢- أخرجه مسلم- ٢/٢٠١(١٨٤٩) ، وأحمد ١/٣٥(٢٣٢) .

١١ – المطلب الحادي عشر:" تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" (الواقعة: ٨٠ ، الحاقة:٤٣).:-

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ قَوْلَ كَاهِنٍ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْكَاهِنَ يَتَلَقَّى مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ مَا يَسْتَرِقُونَهُ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ بِزَعْمِهِمْ، وَلَا هُوَ قَوْلُ شَاعِرٍ إِذْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ لِكُلِّ شَاعِرٍ شَيْطَانًا يُمْلِي عَلَيْهِ الشِّعْرَ، وَلَا هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،لِأَنَّهُمْ يَعْنُونَ بِهَا الْحِكَايَاتِ الْمَكْذُوبَةِ الَّتِي يَتَلَهَّى بِهَا أَهْلُ الْأَسْمَارِ، فَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُطَابِقٌ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُشَاهِدُهُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ. وَجُمْلَةُ " تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ " مُبِينَةٌ لِجُمْلَةِ " فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " فَهِيَ تَابِعَةٌ لِصِفَةِ الْقُرْآنِ، أَيْ فَبُلُوغُهُ إِلَيْكُمْ كَانَ بِتَنْزِيلٍ مِنَ اللَّهِ، أَيْ نَزَلَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ. وَفِي مَعْنَى نَظْمِ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ " (الحاقة: ٤١– ٤٣) . وَإِذْ قَدْ ثَبَتَتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الشَّرِيفَةُ لِلْقُرْآنِ كَانَ حَقِيقًا بِأَنْ تُعَظَّمَ تِلَاوَتُهُ وَكِتَابَتُهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْمَأْمُورِ بِهِ أَنْ لَا يَمَسَّ مَكْتُوبَ الْقُرْآنِ إِلَّا الْمُتَطَهِّرُ تَشَبُّهًا بِحَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي تَنَاوُلِ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ يَكُونُ مُمْسِكُ الْقُرْآنِ عَلَى حَالَةِ تَطَهُّرٍ دِينِيٍّ (١). وَعَبَّرَ عَنِ الْجَلَالَةِ بِوَصْفِ رَبِّ الْعَالَمِينَ دُونَ اسْمِهِ الْعَلَمِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ رَبُّ الْمُخَاطَبِينَ وَرَبُّ الشُّعَرَاءِ وَالْكُهَّانِ الَّذِينَ كَانُوا بِمَحَلِّ التَّعْظِيمِ وَالْإِعْجَابِ عِنْدَهُمْ نَظِيرَ قَوْلِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ " رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ"(الشُّعَرَاء: ٢٦) ، وَنَفَى عَنْهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلَ شَاعِرٍ أَوْ قَوْلَ

١– التحرير والتنوير (٢٧/٣٣٥) .

كَاهِنٍ، فَبَيَّنَ بِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ لِيَقُولَهُ لِلنَّاسِ وَيَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ (١).

قال الرازي : وَقَوْلُهُ: " مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ " أَيْضًا لِتَعْظِيمِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ يَعْظُمُ بِعَظَمَةِ الْمُتَكَلِّمُ، فَإِذَا قَالَ:" مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ " تَبَيَّنَ مِنْهُ عَظَمَةٌ لَا عَظَمَةَ مِثْلُهَا ، وَقَوْلُهُ:" تَنْزِيلٌ " رَدٌّ عَلَى طَائِفَةٍ أُخْرَى، وَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي كِتَابٍ وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، لَكِنَّ الْمَلَكَ يَأْخُذُ وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَا يَكُونُ مِنَ اللَّه تَعَالَى، وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الرَّوَافِضِ يَقُولُونَ: إِنَّ جِبْرَائِيلَ أُنْزِلَ عَلَى عَلِيٍّ، فَنَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ تَعَالَى: هُوَ مِنَ اللَّه لَيْسَ بِاخْتِيَارِ الْمَلَكِ أَيْضًا (٢) .

قال السعدي :{تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية والدنيوية، وأجل تربية ربى بها عباده إنزاله هذا القرآن ، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدرون لها شكورا(٣).

إنّ الأسرة التي فقدت عائلها – حتى وإن توفرت لهم كل مقومات الحياة – يوصف أبناؤها بالأيتام وتوصف الزوجة بالأرملة ، يحتاجون من يعولهم ويرعاهم ويعطف عليهم ، فكيف بأمة تركت منهج ربها ونحت شرع نبيها ، فأصبحت الأمة كالأيتام على موائد اللآم ، تحتاج الأمة من يحنو عليها ويأخذ بيدها ، وما أدراك بأمة تتمتع بمنهج وصفه ربنا بقوله: " تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ

١- التحرير والتنوير (٢٩/١٤٤) .

٢- التفسير الكبير (٢٩/ ٤٣٣) .

٣- تفسير السعدي صـ ٨٣٦ ، صـ ٨٨٤ بتصرف كبير .

الْعَالَمِينَ " ، **فيه العطف كله والحنان كله والعدل المطلق ، ويعطي سعادة كاملة في الدنيا والآخرة ، يتمنى المسلم أن يقرأه ويتعلمه كما يتمنى لقاء الأب وزيادة .**

الخاتمـــــــة

أولاً : أهم النتائج –

١- القرآن الكريم كلام الله تبارك وتعالى أنزله على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وليس منقولاً ، ولا من كلام البشر .

٢- القرآن الكريم نزل مرتان :- الأولى : نزل جملة واحدة والْأَصَـحُّ الْأَشْـهَرُ أَنَّهُ نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، الثانية : أنه نَزَلَ بَعْدَ ذَلِـكَ مُنَجَّمًـا فِـي عشرين سنة أوثلاث وعشرين أو خمس وَعِشْرِينَ عَلَى حَسْبِ الْخِلَافِ فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد البعثة .

٣ – تلقى جبريل – عليه السلام – القرآن الكريم من رب العالمين مباشرة بـلا واسطة ، فبلغه للنبي – صلى الله عليه وسلم – كما سمعه لفظاً ومعنـى ، لا كما وقع الوهم عند بعض العلماء ، فظن أن جبريل – عليه السلام – يأخـذه من السفرة في بيت العزة.

٤ – أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بالحق الذي لاشك فيه ، وتولى سبحانه حفظ نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – فلا يخطأ ولا يغيّر ولا ينسى ، وحفظ سبحانه كتابه إلـى الأبـد (في الدنيا والآخرة) فلا شك فيه ، وأكد سبحانه وتعالى ذلك بالتحدي القـائم إلى يوم الدين ، فمن كان في نفسه شئ على القرآن فليأت بما عنده .

٥ – لبيان قوة الإعجاز ، وروعة البيان ، وإقامة التحـدي ، وإظهـار عظمـة المُنزِل والمُنزَل ، وشرف المُنزَل عليه ، ذكر سبحانه بعض أسمائه الحسـنى

وصفاته العليا مع بعض آيات التنزيل للإيمان المطلق به، وتَرْغِيبًا فِي تَدَبُّرِهِ، وَالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِهِ، وهذا هو الجمال المطلق .

٦- ذكر ربنا من صفاته مع آيات التنزيل (الربوبية ، الألوهية ، الرحمة ، العلم، الحكمة ، العزة ، الخلق ، الحمد) هل بعد ذلك من كمال ؟! ، وهل يتطرق إلي كلامه شك ، قال تعالى: " تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"(السجدة)، ، **وقال سبحانه:**" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"(الحجر:٩) ، **فمن كان عنده شئ فليأت به.**

ثانياً : أهم التوصيات –

١ – كثرة التدبر لآيات الله والوقوف على أحكامه ، لأنّ عجائبه لم ولن تنتهي، والله يرزق من يشاء من عباده بغير حساب .

٢ – مدارسة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، فإنّ فيها زيادة الإيمان بالله والخشية منه " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" حتى يصل العبد إلى محبة الله الحقيقية ، ويحبه ربه .

٣ – الوقوف على هذا الموضوع مرة ومرة فإن فيه الخير الكثير:" ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ".

أهم المراجـــــــع

١. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول / لمحمد علي الشـوكاني ١٢٥٠هـ ، تحقيق/ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي ، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ،

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/محمد المختار الشنقيطي ١٣٩٣هـ ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ .

٣. تاج العروس من جواهر القاموس/محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي ١٢٠٥هـ،تحقيق/ مجموعة من المحققين ، دار الهداية.

٤. التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي١٣٩٣هـ ،الدار التونسية ١٩٨٤م .

٥. تفسير أبي السعود / محمد بن محمد بن مصطفى ٩٨٢هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٦. تفسير أسماء الله الحسنى/أبو إسحاق إبراهيم بن محمدالزجاج ،دار الثقافة العربية – دمشق ، ١٩٧٤،تحقيق /أحمد يوسف الدقاق

٧. تفسير أسماء الله الحسنى/عبد الرحمن السعدي ، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،١٤٢١هـ

٨. التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي ٦٠٦هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/عبد الرحمن بن ناصر ١٣٧٦هـ ، تحقيق/ عبد الرحمن اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ .

١٠. جامع العلوم والحكم/ ابن رجب الحنبلي ، تحقيق / عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان النصورة ١٤١٧هـ .

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين الألوسي١٢٧٠هـ ، تحقيق/علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤١٥ هـ .

١٢. سنن الترمذي/محمد بن عيسى الترمذي٢٧٩هـ، تحقيق/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ،١٩٩٨ م.

١٣. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة/د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني،مطبعة سفير، الرياض

١٤. صحيح البخاري/محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٥. صحيح مسلم /مسلم بن الحجاج النيسابوري٢٦١هـ ،تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٦. الصلاة وحكم تاركها/ابن قيم الجوزية ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ – ١٩٩٦، تحقيق/بسام عبد الوهاب الجابي .

١٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة/ ابن قيم الجوزية ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨،تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله .

١٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين/محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية٧٥١هـ ، دار السلفية، القاهرة، الثانية١٤٢٩هـ.

١٩. فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى/محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية٧٥١هـ،تحقيق/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر،غراس، الكويت ، الأولى، ١٤٢٤هـ .

٢٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/محمود بن عمرو الزمخشري ٥٣٨هـ،دار الكتاب العربي،بيروت ،الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٢١. لسان العرب/محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور ٧١١هـ ، دار صادر بيروت،الثالثة ١٤١٤هـ .

٢٢. المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى/محمد صالح العثيمين – تأليف/كاملة بنت محمد الكواري، دار ابن حزم الأولى، ١٤٢٢ هـ .

٢٣. مجموع الفتاوى/أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧٢٨هـ ،تحقيق/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد ،١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٤. مختار الصحاح/أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ٦٦٦هـ ،تحقيق/يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت ، الخامسة، ١٤٢٠هـ .

٢٥. مدارج السالكين /محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية،دار الكتاب العربي – بيروت ، الثانية ١٣٩٣، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٢٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل/أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الحديث – القاهرة ، الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

٢٧. معجم اللغة العربية المعاصرة/د أحمد مختار عبد الحميد ١٤٢٤هـ بمساعدة فريق عمل ،عالم الكتب ،الأولى،١٤٢٩هـ.

٢٨. معجم مقاييس اللغة/أحمد بن فارس الرازي٣٩٥هـ ،تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ .

٢٩. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى/ الإمام إبى حامد الغزالي ، دراسة وتحقيق / محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن – القاهرة .

٣٠. مناهل العرفان في علوم القرآن/ للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني١٣٦٧هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،الطبعة الثالثة .